|  |  |
| --- | --- |
| جامعة سطيف2/ كلية الأداب واللغات | قسم اللغة والأدب العربي السنة الثالثة دراسات أدبية |
| السداسي السادس السنة الجامعية 2022/ 2023 | مقياس النص الشعري المغاربي |

**المحاضرة الأولى : مدخل إلى دراسة الشعر المغاربي**

تمهيد: يرجع ظهور الشعر المغاربي الى فترة الفتح الاسلامي لا سيما فيما عرف بالدويلات، حيث نظمت نصوص شعرية عربية بنيت على نظام القصيدة العربية، هيكلا وموضوعات وأغراض، كما تم استحداث نصوص جديدة للشعر تابعة للبيئة المغاربية مثل الموشحات والأزجال والمولديات

أما في عصر النهضة فإن البدايات الأولى للشعر المغاربي كانت مع نصوص الأمير عبد القادر الجزائري (ت..) الذي نظم في عدة أغراض تراوحت بين الفخر والحماسة والتصوف

**تعريف الشعر المغاربي الحديث**: يطلق مصطلح الشعر المغاربي على الإنتاج الشعري الذي ظهر على لسان شعراء بلدان المغرب العربي،  فهو جغرافيا يمتد ضمن الحيز المكاني  لشمال إفريقيا من ليبيا إلى موريطانيا، أما زمنيا فيرتبط بالعصر الحديث وهو عصر النهضة الذي واكب فيه الشعر المغاربي شعر المشرق

**جذور الشعر المغاربي**: ترجع جذور الشعر المغاربي إلى الحضارة الإسلامية التي قامت في شمال إفريقيا منذ الفتح الإسلامي، وقد حفلت الكتب التراثية بالقصائد الشعرية للمغاربة لا سيما فيما ابتدعوه من فنون جديدة كالمولديات والأزجال. أما في العصر الحديث والذي يحدد زمنيا بحملة نابليون على مصر فنجد أن الدول المغاربية قد عايشت فيها فترة احتلال لكن هذا لم يمنع من ظهور بعض الشعراء كالأمير عبد القادر الجزائري

**تجربة الأمير عبد القادر الجزائري الشعرية**

تعد تجربة الأمير عبد القادر الشعرية من التجارب الرائدة في الشعر العربي عامة والمغاربي الجزائري خاصة، لا سيما وأنها ظهرت مع بدايات عصر النهضة وظهور الحركة الإحيائية في المشرق العربي،

والأمير شاعر ومتصوف  ومحارب، حيث انعكست هذه الروافد في شعره، فكان أن عبر عنها ضمن أغراض شعرية ضمها ديوانه المواقف

**الأغراض الشعرية في شعر الأمير**

**الفخر والحماسة:** وهو من الأغراض التي عبرت عن شخصية الأمير المفاخر بانتسابه للإسلام ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. يقول:

بعليائنا يعلو الفخار وإن يكن                  به قد سما قوم ونالوا بها نصرا

وبالله أضحى عزنا وجمالنا                      بتقوى وعلم والتزود للأخرى

ومن رام إذلالا لنا قلت: حسبنا               إله الورى والجد أنعم به ذخرا

كما إذا ما كان جيشي مقبلا                وموقد نمار الحرب إذ لم يكن لها صال

إذا ما لقيت الخيل إني لأول                   وإن جال أصحابي فإني لها تال

أدافع عنهم ما يخافون من ردى               فيشكر كل الخلق من حسن أفعالي

**البعد الوطني والقومي:** حيث اتسمت نصوص الأمير ببعدها الوطني، فهو شاعر السيف والقلم، فعبر عن  وطنيته لا سيما وأن فرنسا كانت تحاول إخضاع الجزائر لسيطرتها، مما جعل الجزائريين والأمير منهم يهبون للدفاع عن أرضهم وهويتهم وثقافتهم.

سلوا تخبركم عنا فرنسا                ويصدق إن حكت منها المقال

أما البعد القومي لشعره فيظهر فامتداد العروبة التي يفخر بالانتساب لها:

ورثنا سؤددا للعرب يبقى             وما تبقى السماء ولا الجبال

فبالجد القديم علت قريش           ومنا فوق ذا طابت فعال

وكان لنا دوام الدهر ذكر            بذا نطق الكتاب ولا يزال

**التصوف:**

لا يمكن أن نتحدث عن الشعر الصوفي في الجزائر دون أن نذكر الأمير عبد القادر الجزائري، الذي يوصف بالشاعر المتصوف كونه تشرّب مبادئ الدين منذ صباه وتأثر بتعاليمه، فكتب فيه شعرا ونثرا وقدّم تراثا أدبيا صوفيا كبيرا مقارنة بغيره من الشعراء الذين عاصروه، ولكن هذا لم يجعل الأمير شيخا يستحدث طريقته، بل إنه «شبّ على تعاليم الطريقة القادرية، لكن الزمن والتجربة عمقت حسّه الإنساني وجعلته يتسامى إلى آفاق طرح الأسئلة المعلقة، وبثها الحيرة والقلق الوجوديين، وكل ذلك دون أن تجمع به البواعث أو تفلت منه المقادة». يقول في المواقف:

لقد حرت في أمري وصرت في حياتي                      فأي الأمور هو ثابت لي

فهل أنا موجود وهل أنا معدوم                            وهل أنا ثابت وهل آنا منفي؟

وهل أنا ممكن وهل أنا واجب                            وهل أنا محجوب وهل أنا مرئي؟

ولفرش المهاد المعرفي أما الشعر المغاربي سنقوم بتقسيمه بحسب الدول:

**1/ مدخل إلى الشعر الجزائري:**

أشرنا إلى أن شعر الأمير عبد القادر الجزائري هو أول لبنة في صرح الشعر الجزائري الحديث حيث كانت نصوصه قائمة على مبادئ المدرسة الكلاسيكية (البعث والاحياء) فجاء معجمه الشعري ثريا بالمفردات القديمة كما نظم في الأغراض التراثية كالفخر

يقول:

وإن كانت مرحلة الأمير هي البداية فقد مر الشعر الجزائري الحديث بعدة مراحل تأسيسية حتى اكتمل بناء فنيا لا سيما وأنه عايش فترة الاستعمار التي عرفت بتضييقها الخناق على اللغة العربية ومحاربتها. يقسمها الباحث أبو القاسم سعد الله إلى خمسة مراحل:

أ/ شعر المنابر: ويمتد زمنيا من ؟أواخر لقرن التاسع عشر إلى سنة 1925 وهي المرحلة التي ظهر فيها شعر الإصلاح الداعي الى الجهاد ضد المستعمر والتصدي لسياسة الجهل الذي فرض على الجزائريين. من شعراء هذه المرحلة السعيد الزاهري و ابو اليقظان

ب/ شعر الاجراس: 1925- 1936 وفي هذه المرحلة انتقل الشعر الجزئري من مجرد خطاب منابر في الارشاد والوعظ الى خطاب يعكس التحولات السياسية التي تمر بها البلاد واصبح الشاعر منخرطا في العمل السياسي بشعره كالشاعر محمد العيد ال حليفة و مفدي زكرياء

ج/ شعر البناء ( 1936- 1945): وهي مرحلة مواجهة المستعمر، لا سيما بعد نضج الوعي السياسي لدى الجزائريين وبداية تشكل الحركة الوطنية كقول محمد العيد آل خليفة:

قف حيث شعبك مهما كان موقفه أوْ لا فإنك عضو منه منحسم

تقول أضحى شتيت الرأي منقسما وأنت عنه شتيت الرأي منقسم

فكن مع الشعب في قول وفي عمل إن كنت بالرجل الشعبي تتسم

د/ شعر الهدف ( 1945- 1954): وفي هذه المرحلة ترسخت الروح الوطنية في لغة النص الشعري واستمرت الرسالة التعليمية والاصلاحية. كما تعددت موضوعات الشعر الجزائري الحديث بانفتاحه على قضايا الامة العربية والاسلامية كقضية فلسطين مما أدى إلى تقوية النضال السياسي وإعطائه بعده القومي امتدادا للهوية الجزائرية. يقول ابن باديس:

شعب الجزائري مسلم وإلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن اصله أو قال مات فقد كذب

ه/ شعر الثورة 1954: وهي مرحلة تطور الشعر الجزائري نتيجة اليقظة السياسية والفكرية والادبية، حيث تميز النص الشعري بالحماسة وشحذ الهمم لمجابهة المستعمر واضحت الكلمة سلاحا ضد الاحتلال.

**2/ مدخل إلى الشعر التونسي الحديث:**

ظهر الشعر التونسي الحديث على يد شعراء الإحياء لا سيما الشاعر محمد الشادلي خزندار، إذ تميز الشعراء التونسيون بثقافتهم العربية وتأثرهم بالتراث العربي، لذلك كانت نهضة الشعر التونسي مرتبطة بالمشرق العربي، كما كانت تحمل الحس الوطني.

تعد تونس من الدول المغاربية التي شهدت حركية أدبية منذ العصر القديم، ذلك أنها شكلت محطة التقاء بين المشرق والمغرب العربيين، كما أن جامع الزيتونة المتواجد بها أسهم في إثراء هذه الحركية أدبا ونقدا

غير أن الملاحظ على الشعر التونسي في العصر الحديث هو تلك الغمامة التي تلقي بظلالها فتخفي ذكر أي شاعر ما عدا أبي القاسم الشابي، وكأن الشعر التونسي الحديث لم ينجب غيره

وعلى العكس من ذلك فأن تونس الخضراء تحفل بعديد الشعراء الذين سايروا مراحل تطور الشعر فيها والتي يمكن تقسيمها إلى:

أ/ الشعر الإحيائي التقليدي: وهي المرحلة التي نؤرخ لها بنهاية القرن التاسع عشر، حيث واكبت القصيدة التونسية فيه القصيدة القديمة إيقاعا وأغراضا، ومن بين رواد هذا الشعر نذكر محمد السنوسي، وصالح السويسي القيرواني والشادلي خزندار وهو أمير الشعراء بتونس حيث كتب للوطن وللحرية يقول:

أبكي لفراقهم وهم أحياء            سبع بكتهم تونس الخضراء

ما كان في كفي الحسام وإنما            من تحت فكي حية رقطاء

أرسلتها حصبا على مغتالهم          فنريهم ماذا يفعل الشعراء

غير أننا نجد في هذه المرحلة صوتا تجديديا شابا انتشر عربيا وذاع صوته بوصفه شاعر تونس الأكثر شهرة وهو الشابي الذي كتب شعرا ونثرا لا سيما قصائده الرومانسية التجديدة كصلوات في هيكل الحب

ب/ مرحلة شعر الطليعة والشعر الجديد:  وهي الفترة التي تنطلق منذ 1968 حيث تشكلت عدة حركات شعرية في تونس متأثرة بتوجهات وأفكار مجلة فكر فكان حركة جماعة تحت السور، وجماعة العالم الأدبي. فظهر شعراء أمثال زين العابدين السنوسي، وعلي الدوعاجي وأحمد اللغماني الذي نظم في الشعر الحر:

سبتمبر

دنيا مغيمة وجو أغبر

والريح عاتية تخور وتحفر

تحنو التراب وتنذر

أقبلت يا سبتمبر

والروض في ريعانه سيتبختر

وظهر شعراء القصيدة غير العمودية وغير الحرة متأثرين بالشعر الفرنسي وهم جماعة الطليعة حيث كان شعرهم أقرب إلى قصيدة النثر الحداثية. ومن بين هؤلاء نجد الشاعر الحبيب الزناد مؤسس الجماعة:

قصائدي

لا تحمل طعم قديم الشعر

وكثيرا ما تعبر عن شكل هذا العصر

عن مشاكل هذا العصر

والشاعر الطاهر الهمامي:

اختناق

الليل هذا اغتراب

أغنيات حزينة

غير أن هذه الحركة انحصرت ولم تعش طويلا لتخلفها حركة المدرسة الكونية بزعامة جماعة القيروان ورائدها الشاعر محمد الغزي والمنصف الوهابي

ج/ جماعة قتل المعنى: حيث تطور الشعر التونسي مع جيل التسعينيات الذي أسس لمفاهيمه الخاصة حول الذات وهمومها ليطلق عليه.

ومنه ينقسم الشعر التونسي في تطوره إلى ثلاثة مراحل هي:

أ/ مرحلة المخضرمين الذين تبنوا النزعة التقليدية في الشعر، ب/ الشعر الطلائعي ( 1968- 1972) باختلاف أطيافه، ج/ والمرحلة الأخيرة جماعة قتل المعنى

**3/ مدخل إلى الشعر في المغرب الأقصى**

لم يكن المغرب الأقصى مختلفا عن نظيريه الشعر الجزائري والتونسي من حيث الظروف التي مرت عليه، حيث كان شعرا تقليديا في بداياته، لا سيما إحياء القصيدة العمودية، في فترة الثلاثينيات من القرن الماضي، لذلك يمكن عده شعرا إحيائيا محافظا،

ونلحظ ظهور بعض الأصوات الشعرية التي اتخذت من المنهج الرومانسي سبيلا شعريا متبعين نهج الشعراء المجددين أمثال الشابي وإيليا أبي ماضي، حيث أصبح الشعر عندهم روح الحياة وجوهرها لذلك كان الوجدان منطلق التعبير، فكانت أربعينيات القرن العشرين حقبة للصراع بين الذاتي والواقعي في المغرب، مما جعل الوعي الشعري يهتم بقضايا الأدب وفنه لا بالقضايا الاجتماعية والواقعية.لذلك اتسمت القصيدة المغربية آنذاك بعدة خصائص نذكر منها:

**الخطابية:** حيث كانت النبرة الخطابية سمة بارزة للقصيدة التقليدية، لا سيما من حيث الأسلوب واللغة الجزلة ولعل ذلك راجع إلى الظروف التاريخية التي عايشتها دول المغرب العربي عامة من حيث العودة إلى استنهاض الأمم وشحذ الهمم. كقول الشاعر علال الفاسي في قصيدة "مجد الشرق":

لِمَنْ طَللٌ في الشرق أصبح خاليا              به أثرٌ للمجد مـا زال باقيا  
يُذكّـرنا عهداً تحِـنّ نفوسُنا                      إليه، فنُجـري الدمــعَ أحمــرَ قانيا  
يُذكّـرنا عـــهدَ السّيادة والعُلا                    وعَصراً به كُنّا الملوكَ المَواليا  
عَلَوْنا به فوق السُّهى عن جدارةٍ               وفُقْنا به حتى النجومَ العَواليا  
مَلَكْنا زِمام الحُكم شرقاً ومَغرباً                 بِعَدلٍ مَحَا الظلْمَ الذي كان فاشيا

**التجديد:** ويرجع ذلك إلى تأثير الحركات التجديدية التي ظهرت في المشرق العربي، كشعر نازك الملائكة وبدر شاكر السياب، حيث واكب الشعراء المغاربة هذه الموجة وبخاصة حين صدور كتاب النبوغ المغربي لعبد الله كنن الذي أسهم في التأثير في الحركة الشعرية والأدبية، فكتب الشاعر المغربي القصيدة الحرة، معبرا عن ذاته مبرزا جمالية التجربة:  
 هي الأرض التي تحبو على كتفي تترك في القصيدة لحمها

وأنا امتداد الحلم في الجسد المحاصر بالكتابة

لاشيء ينقدني من الأرض التي تمشي

سوى الأرض التي تأتي

وليس رحيل أحبابي سوى مرّ  سحابة

**التجريب:** وهو السمة التي ظهرت عند شعراء المغرب الأقصى حينما تنبى الشاعر أدبية النص، فعمل على أن يربط بناءه الشعري بآليات حداثية، كالتناص والعودة إلى التراث لا سيما في الجانب الصوفي، الذي يحمل في طياته لغة رمزية تأويلية، فتجاوز بذلك الأنماط السائدة وكرس مبدأ التخييل ما جعل الشعر المغربي نصا حداثيا منتفح الدلالة